شرح حديث زيد بن ثابت لبيك اللهم لبيك

سؤلنا صرت تبكي ما مضى لو كنت لازمت الوقوف ببابنا للبست منا احسا
ننا خلع الرضا عنا لكن تركت حقوقنا فهجرتنا فلذا أضاق عليك متسع الفضا

اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى اله وصحبه اجمعين آمين

الكلام على حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه تاليف الشيخ الامام الزاهد عبد الرحمن
بن رجب رحمه الله تعالى وعفى عنه وغفر له ولوالديه ولجميع اخواننا المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله

خرج الامام احمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
علمه دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك
والخير في يديك ومنك وبك واليك اللهم ما قلت من قول او نذرت من نذر او حلفت
من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة
الا بك انك على كل شيء قدير اللهم وما صليت منه صلاة فعلى من صليت وما
لعنت من لعنة فعلى من لعنت انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني
بالصالحين اللهم اني اسئلك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت لذة النظر
الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك اللهم
ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة محيطة او ذنبا لا
تغفره اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني اعهد
اليك في هذه الحياة الدنيا واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت لك
الملك ولك الحمد وانت على كل شيء قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك واشهد ان
وعدك حق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة لا ريب فيها وانك تبعث
من في القبور واشهد انك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة
واني لا اثق الا برحمتك فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وتب علي
انك انت التواب الرحيم قوله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك معناه اجابة
لك بعد اجابة مرة بعد مرة وليس المراد به حقيقة التثنية للتكرير والتكثير كقوله
ثم ارجع البصر كرتين يعني مرة بعد مرة واصله من لبب بالمكان اذا لزمه

واقام فيه فكان الملبي يجيب دعوة الله ويلزم ذلك ويقتضي ايضا سرعة الاجابة
مع الدوام عليها قوله سعديك يعني اسعادا بعد اسعاد والمعنى طاعة بعد طاعة
واصله ان المنادي اذا دعى غير الا ان المجيب لدعائه يجيبه اسعادا له ومساعدة ثم غلب
ذلك الى مطلق الطاعة حتى استعمل في اجابة دعاء الله عز وجل وحكى عن العرب سعدانه
وسعدانه على معنى اسبحه وطيعه تسمية الاسعاد بسعدان كما سمي التسبيح
بسبحا ولم يسمع سعديك مفردا ولا شك ان الله سبحانه يدعو عباده الى ما فيه رضاه
عنهم ويوجب لهم اسعاد الاخرة فمن اجاد دعاه واستجاب له فقد افلح قال ابن عطا وانه يدعو
الى دار السلام وقال ابن عطا قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض الاية وقال ابن عطا
حكاية عن الجن الذين استمعوا القرآن يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به الاية وكذا
يقول الملبي في الحج لبيك اللهم لبيك يعني اجابة لدعائك وطاعة لك حيث دعوتنا الى حج
بيتك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة وقد قيل انه
كان يقوله في قيام الليل وروي انه كان يقول في استفتاح المكتوبة لبيك اللهم ولبيك
وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت
استغفرك واتوب اليك خرجه مسلم من حديث علي وروي من حديث هذيفة
مرفوعا وموقوفا وهو اصح لبيك وسعديك والخير بيديك تباركت وتعاليت
وحنانيك والمهتدي من هديت عبدك بين يديك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت رب البيت فاذا كان العبد في صبح كل يوم يقول لبيك اللهم
لبيك وسعديك فانه يريد بذلك اني اصبحت مجيبا دعوتك مسرعا الجهاد فيما
على طاعتك ممتثلا لاوامرك مجتنبا لنواهيك فاذا قال ذلك بلسانه فالواجب
ان يتبع ذلك بعمله ليكون مستجيبا لدعوة الله قولا وفعلا وانه قال ذلك بلسانه
ثم خالف ذلك بعمله فقد خالف قوله عمله وهو جدير ان لا يجاب كما لا يجاب من
حج بمال حرام وقال اللهم لبيك فيقال له لا لبيك ولا سعديك في بعض الاثار ان الله عز
وجل ينادي كل يوم ابن ادم ما انصفتني اذكرك وتنساني وادعوك الى ما ينفعك
الى غيري واذهب عنك البلاء وانت معتكف على الخطايا ابن آدم ما اعتذارك
اذا جئتني كم دعاك الى بابه فما اجبت والبيت كم استدعاك الى جنابه فقعدت

في الدنيا باسه اي بان ثباته وقيامه باسه فلولا ان اسه يقيم الوجود وما فيه من انواع الخلق
لهلك ذلك كله وتلف ومن امثلته الى القيوم وقال ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا
وفي الاثر المعروف في النار ارتني يا موسى لو نمت لسقطت السماء على الارض وبعد انتقال
العباد من هذه الدار فان مرجعهم الى الله كما قال تعالى اليه من جميعا وقال ثم اليه ترجعون
في ايات كثيرة وفي هذا المعنى قال بعض العارفين حقيقة التوحيد ان يكون العبد فانيا
بتالله عز وجل برى الاشياء كلها منه وبه واليه كما قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء
الا ورايت الله فيه منه اوجد الانسان من عدم واقامه ولولا الله الا لم يقم اليه من جمعه
وهو باعثه بعد الممات من الاجداث والرمم قوله اللهم ما قلت من قول او نذرت من
نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشا لم يكن ولا حول ولا قوة
الا بك الكل على كل شيء قوي ذكر الخطابي في كتاب الدعاء ان قوله فمشيتك روي بضم التاء
فقها واه من رواه بالضم قال المعنى الاعتذار الى سابق الاقدار العالية عن الوفاء الذي
العبد نفسه من النذور والايمان قال وفي هذا طرف من الجبل والصواب رواية من رواه
بفتح التاء على اضمار فعل كانه قال فاني اقدم مشيتك في ذلك وانوي الاستثناء فيه مرجا
للحنث مني عند وقوع المحلوف عليه وفيه حجة لمن ذهب من مذهب المكيين في جواز الا
ستثنا منفصلا عن اليمين قلت والصواب هذا المعنى على الروايتين اعني رواية
الضم وليس المراد برواية الضم الاعتذار بالقدر وانما المعنى فمشيتك بين يدي ذلك كله
مقدمة فهو مبتدأ حذف خبره ويشهد لهذا المعنى ما خرجه ابو داود وفي سننه باسناده
عن ابي الدرداء انه كان يقول حين يصبح اللهم ما حلفت من حلف او قلت من قول
او نذرت من نذر فمشيتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان وما لم تشا لم يكن اللهم
اغفر لي وتجاوز عني اللهم انت صليت عليه فعليه صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي
كان في استثنا يومه ذلك فقد صرح ابو داود بهذا الاستثنا بالمشيئة انه يكون
استثنا يومه ذلك يعني فيما يحلف به وينذره ويقوله في هذا اليوم وهذا صريح
في انه يكون استثنا فيما يستقبله من الكلام في يومه ذلك واما قول الخطابي انه
ينتفع الحنث كقول من يقول ذلك في الاستثنا المتصل بعد الكلام كما حكاه عن
المكيين فاصل ذلك انه قد روي عن المكيين كعطا ومجاهد وعمرو بن دينار وابن
جريج وغيرهم انه ينفع الاستثنا بعد مدة اليمين وروي ذلك عن ابن عباس
من وجوه وقد طعن فيها كلها غير واحد منهم القاضي اسمعيل المالكي والحافظ ابو

موسى الدينوري وله في ذلك مصنف مفرد وروي عن ابن عباس في قوله واذكر ربك اذا نسيت
قال هي خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره خرجه الطبراني من وجه ضعيف وروي
ذلك عن ابن جريج ايضا وقالت طائفة انما اراد هو الا ان هذا الاستثنا المنفصل
يحمل به اتصال قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت وسبب نزولها ان قوما سئلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة فقال غدا اخبركم
ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه مدة ثم نزلت هذه الاية في الصحيح ان سليمان
عليه السلام قال لاطوفن الليلة على مائة امراة الحديث وفي الحديث ان بني اسرائيل لولم
يقولوا ان شاء الله لما اهتدوا ابدا يعني الى البقرة التي امروا بذبحها وفي الحديث الذي في
السنن ان يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم السد حتى يكادوا يرون منه شعاع الشمس ثم
يعيدونه ويقولون غدا نفتحه فاذا جاء موعد الغد جاء كما كان فلا يفتحونه
حتى يأذن الله في فتحه فيقولون غدا نفتحه انشاء الله فيرجعون فيجدونه كما تركوه
فيفتحونه قال سعيد القواح بلغني ان موسى عليه السلام كانت له الى الله حاجة فطلبها
فاطالت فقال ما شاء الله فاذا حاجته بين يديه فتعجب فاوحى الله اليه اما علمت
ان قولك ما شاء الله انجح ما طلبت به الحوائج قال ابراهيم بن ادهم قال بعضهم ما
سئل السائلون مسئلة هي ان جح من ان يقول العبد ما شاء الله ما شاء الله قال
يعني بذلك التفويض الى الله وكما لك بالناس كثيرا ما يقول ما شاء الله فعاتبه رجل
على ذلك فراى في منامه قائلا يقول لذلك العاتب لمالك على قوله ما شاء الله لو شاء ما
لك ان يثقب الخرز بقوله ما شاء الله فعل قال حماد بن زيد جعل رجل جعلا
على ان يعبر نهرا فعبر حتى اذا قرب من الشط قال عبرت والله فقال له رجل قل
ما شاء الله فقال شاء الله اولم يشا فاخذته الارض فلا ينبغي للعبد ان يخبر بفعل
يفعله في المستقبل الا ان يلحقه بمشيئة الله فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
والعبد لا يشاء الا ان يشاء الله فاذا نسي هذه المشيئة ثم ذكرها ولو بعد مدة فقد
امتثل ما امر به وزال عنه الاثم وان كان لا يرتفع عنه الكفارة والا الحنث في
يمينه وله في كلام ابي الدرداء اللهم اغفر لي وتجاوز عني فلم استثن الا رفع الاثم
دون رفع الكفارة وكذا روي عن سعيد بن جبير في قوله واذكر ربك اذا نسيت

قال

قال يقول اذا حلفت ونسيت الاستثنا فاستثن اذا ذكرت ولو بعد حجة اشهر
وسنة اشهر فانه بجزيك مالم تحنث خرجه ادم بن ابي اياس في تفسيره وعلى هذا حمل قول
بن عباس واصحابه وطائفة من العلماء منهم ابو مسعود الاصبهاني وبن جرير الطبري
وكذا يقال في هذا الحديث في تقديم الاستثنا في اليمين فان تقديمه ابلغ من تاخيره
عن اليمين فان اليمين لم توجد بعد بالكلية وفي تاخيره قد وجدت وقد قال مالك في
الاستثنا في اليمين اذا ذكر المشيئة يريد بها الاستثنا فيمنعه ذلك في منع الحنث
وان كان انما يريد امتثال قول لمعقب ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
يحنث فاني ارى الكفارة ونقله بن المنذر وغيره وكذلك حكاه ابو عبيد عن العلماء
وتردد بعض العلماء في وجوب الكفارة في هذا القسم لتردد نظره بين اللفظ والمعنى فانه
معلق بالمشيئة ومعناه الجزم بالفعل غير معلق وانما ذكر الاستثنا تحقيقا وتاكيدا للفعل وفي الجملة فينبغي حمل حديث زيد بن ثابت على هذا المعنى وان يقدم
المشيئة على كل قول يقوله وحلف يحلفه ونذر ينذره ليخرج بذلك من عهدة التزامه
العبد بفعله والمحقق العبد انه لا يكون مما يعزم عليه العبد ويقوله من حلف ونذر
وغيرهما الا ما شاء الله واراده ولهذا قال بعده ما شئت كان وما لم تشا لم يكن ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتبرا من حوله وقوته ومشيئته بدون مشيئة الله
وحوله وقوته واقراره به بقدرته على كل شيء فان العبد عاجز عن كل شيء الا ما قوى
عليه به في هذا الكلام اقرار بالحول والقوة والقدرة والمشيئة فان العبد متى قال
على ذلك كله الا على ما يقدره فعله وهذا نهاية توحيد الربوبية واللجا في رجاء الله
ابيات ما شئت كان وان لم اشا وما شئت ان لم تشا لم يكن وقد عمل طائفة من
الامام احمد كلام بن عباس في تاويل الآية على هذا الوجه اجره وهو ان الرجل اذا قال لافعلن
كذا ثم اراد فعله فانه يستثني ثم يقول ان شاء الله ثم يفعله ويتخلص بذلك من
الكذب ان لم يكن قد حلف عليه باليمين وكان يحيى بن سعيد القطان اذا قال لافعلن كذا ثم
يفعله ابدا فاذا قيل له لم لا تحلف يقول هو اشد يعني الكذب لو كنت حلفت كان اهون
كنت اكفر يميني وافعله وسئل الامام احمد عمن يقول لاكلن ثم ياكل قال هو كذب لا ينبغي ان
يفعل ذلك وسئل ابو داود بن مسلم في كتاب الايمان والنذر عما روي في رجل حلف في شيء

فيقول نعم ان شاء الله وما نيته الا ان لا يفعل قال هذا الكذب به والحلف قال انما يجوز
المستثنى في اليمين قبل له فان قال نعم ان شاء الله وما نيته ان يفعل ثم بدا له ان
لا يفعل قال استثناؤه مخالفة ما قاله من اول كلامه وهذا يدل على ان الاستثناء
بالمشيئة في غير اليمين انما ينفع لمن لم يكن مصمما على مخالفة ما قاله من اول كلامه قوله

بلغ

اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت ولعنت من لعنه فعلى من لعنت
قال الخطابي الوجه الارفع الثاني من صليت ولعنت في الاول وتنصبهما في الآخر
والمعنى كانه يقول اصرف صلاتي ودعائي الى من خصصته بصلاتك ورحمتك واجعل
لعنتي على من استحق اللعن عندك واستوجب الطرد والابعاد في حكمك والاول
حذفني بالخطاني في وضعي اياها غير موضعها واحلها في غير محلها قال وانما يصح هذا
التاويل اذا كان قد سبقت منه صلاة او لعنة لغير المستحقين قال وقد يحتمل انما
دعا بالتوفيق واشترط في مسئلة العصمة لئلا يجري على لسانه ثناء لا لائق
يستحق الثناء من اوليائه ولا ذم الا لمن يستحقه من اعدائه كانه قال اللهم وفقني
حتى لا اوالي الا اوليائك ولا اعادي الا اعدائك قال فالوجه الاول فانما ينصرف
الى الماضي والوجه الآخر المستقبل واعلم انه قد قلت الاول اصح يشهد له
قول ابي الدرداء اللهم انه صليت عليه فعليه صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي
وقول الخطابي ان هذا الوجه انما ينصرف الى الماضي ضعيف بل الصواب ان ينصرف
الى المستقبل وانما المراد ما لعنت في هذا اليوم من لعنت وما صليت فيه من صلاة
يعني ما لعنت وما اصلي وهذا ما تقدم في قوله ما قلت من قول او نذرت من
نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه فقد وافق ما تقدم منه ان المراد
ما يقوله فيحلفه وينذره في المستقبل فكذلك الصلاة واللعنة واعلم ان العبد
مبتلى بلسانه يلعن من لا يستحق اللعنة فاذا لم يكن الملعون بها اهلا لها عاد
الى اللاعن واللعن دعاء فربما اجيب واصاب ذلك الملعون وقد امر النبي صلى الله
عليه وسلم المرأة التي لعنت بعيرها ان ترسله وقال لا تصحبنا ناقة ملعونة وكان
بعض السلف لا يدخل بيته بشيء ملعون ولا يأكل من بيض دجاجة
يلعنها قال بعضهم ما لعنت شيئا ملعونا قط وذكر بن حامد من اصحابنا ان احمد

قال

قال لعبده فهو لله ان يعتقه او شيأ من ماله ان عليه ان يتصدق قال وبحق في
زوجته ان عليه ان يطلقها ويشهد لهذا في الزوجه وقوع الفرقة بينا المتلاعنين
لا كان احدهما كاذبا في الامر قد وقعت عليه اللعنة والغضب فاذا قدم العبد من اول
نهاره انما لعنه من كله فانه لا حق من لعنه الله وما اثنا شانه فهو لا حق ممن
اثنى عليه الله فقد خلص بذلك من اثم اللعنه به لا يستحق اللعن ومدح به لا
يستحق المدح اذا وقع ذلك سهوا او غلطا او عن قوة غضب ونحو فاما من تعمد
ذلك مع علمه بالحال ففي دخوله في هذا الشرط نظر مع ان عموم الشرط يقتضم
فيه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من سبه او لعنه او ضربه في غضب ونحو
انه يكون له كفارة وصلاة وفي رواية وهو غير مستحق وهذا انما يكون اذا ظهر استحقا
قد لذلك تبين انه غير مستحق قوله انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما وا
بالصالحين هذا ماخوذ من دعا يوسف عليه السلام حيث قال فاطر السموات والارض انت
والله عز وجل ولي اولياءه في الدنيا والاخرة يتولى حفظهم وكلاءتهم وحراستهم في
دينهم ودنياهم فما كانوا احياء فاذا حضرهم الموت توفاهم على الاسلام وادخلهم
بعد الموت بالصالحين وهذا اجل النعم واتمها على الاطلاق وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند وفاته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
الصالحين وقول يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين قيل دعا لنفسه
بالموت منه غير ضرورة به وقيل انما دعى لنفسه بالموت على الاسلام عند نزول الموت
وليس فيه دعاء بتعجيل الموت كما اخبره المؤمنين انهم قالوا في دعائهم ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ويؤيد التفسير الاول انه عقبه بالدعاء با
الشوق الى لقاء الله وهو يتضمن الدعاء بالموت وتمنيه بقوله تعالى ان كانت لكم الدار الا
خرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين الاية ثم ذمهم على
عدم تمنيهم بسبب سيئاتهم وعلى حرصهم على طول الحياة في الدنيا وكذلك قوله تعالى قل
يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم الاية وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين
الموت الا مؤمن وثق بعمله فمن كان له عمل صالح فانه يتمنى القدوم عليه وكذلك من غلب
عليه الشوق الى لقاء الله عز وجل وبعامة يتمنى الموت فوق فتنة فانه يجوز بغير خلاف
وقد بسطنا الكلام على هذه المسايل في غير هذا الموضع قوله اللهم اني اسئلك الرض
بعد القضى وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير

ضى ابعضره والافتنة بعضله هذه الثلاث خصال قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يد
كرها بها في غير هذا الحديث ايضا من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد شرحنا
حديثه بتمامه في موضع اخر فاما الرضى بالقضاء فهو من علامات المحبين الصادقين في المحبة
نعم امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها انه مولى
سيدها لا مولى وان عذلوا ما لي عن الاحباب مصطبر لا بد لي منهم وان تركوا
قلبي بنار الهجر تستعر وعلى ان الرضى بما حكموا واطيع كل ما امروا اذا استلانت
القلوب بالرضى عن المحبوب صار رضاها ما يرد عليها من احكامه واقداره قال عمر
بن عبد العزيز اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضاء والقدر خلوا عن بعض
اتباعه في مرضه فقال احبه الي احبه اليه ان كان سروركم ما قد بليت به
في الجرح اذا ارضاكم الم حسب سلطان الهوى انه يلذ كل ما يؤلم وربما اختار
بعض الصالحين الذل على العز والفقر على الغنى والمرض على الصحة والموت على الحياة
عزي ذلي وصحتي في سقمي يا قوم رضيت في الهوى سقمي عذلي كفوا فقد ملا
ني الم مت بات على مواعد اللقاء ينم وانما قال الرضى بعد القضاء لان ذلك هو الرضى
حقيقة وهو الرضى بالقضاء قبل وقوعه فهو عزم على الرضى وقد تنفسخ العزائم
مع وقوع الحقايق ومع هذا فلا ينبغي ان يستعجل العبد البلاء بل يسأل السلامة
فيه فان نزل البلاء لقاه بالرضى قتل لبعضهم ولداه في الجهاد فجاء الناس يعزونه
فبكى وقال ما ابكي على قتلهما ولكن كيف رضاهما عن الله حيث اخذتهما السيف
ان كان سكان القصر رضوا بقتلي فرضى والله ما كنت لما يهوى الحبيب ابغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد ان يتعرضا من يضا لا يرى الا الطبيب المرضا واما
برد العيش ولذاته وما يقر به عين صاحبه فان البرد يحصل به قرة عين الانسان
وطيبها وبرد القلب يوجب انشراحه وطمانينته بخلاف حرارة القلب والعين ولهذا
في الحديث طهروا قلبي بماء الثلج والبرد ودعوة المرء وبارده بخلاف دعوة المرء فانها حارة
فبرد العيش طيبه ونعيمه وفي الحقيقة انما يكمل طيب العيش ونعيمه في الآخرة لا في
الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وسبب ذلك ان ابن آدم مركب
من جسد وروح وكل منهما يحتاج الى ما يتقوت به ويتنعم به وذلك هو عيشه فالجسد

عيشه

عيشة الاكل والشرب والنكاح والطيب وغير ذلك من اللذات الحسية ففيه بعد الا
مشابهة بالحيوانات في هذه الاوصاف واما الروح فهي لطيفة وهي روحانية من جنس الملا
فقوتها ولذتها وفرحها وسرورها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها وفيما يقرب منه
من طاعته في ذكره ومحبته والانس به والشوق الى لقائه فهذا هو عيش النفس وقوتها
فاذا فقدت ذلك مرضت او هلكت اعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه ولهذا
يوجد كثير من اهل الغنا والسعة يعطى جسده حظه من النعيم ثم يجد المآفي قلبه وحشة
فيظنه الجاهل ان هذا يزول بزيادة هذه اللذات الحسية وبعضهم يظنه انه يزول باسر
وكل هذا يزيد الالم والوحشة وانما سببه ان الروح فقدت قوتها وغذاها فمن ضعت
وتألمت اذا كنت قوت النفوس ثم هجرتها فلم تصبر النفوس التي انت قوتها
ستبقى بقاء الصنب في الماء او كما يعيش ببعد المفاوز هو تها قال بعض العارفين
ما تقول في العيش فبكم قالوا الطعام والشراب ونحو ذلك فقال انما العيش ان لا يسبق
منك جارحة الا وهي تجاذبك الى طاعة الله عز وجل من عاش مع الله طاب عيشه
عاش مع نفسه وهواه طال طيشه قال الحسن ان اصبار الله الذين هم ورثوا طيب
الحياة بما وصلوا اليه من مناجاة ربهم وبما وجدوا لذة حبه في قلوبهم وكما
ابراهيم بن ادهم مع اصحابه كس ابا بسة ثم قام الى نهر فشرب منه بكفه ثم حمد الله ثم قا
لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف ايام الحياة
على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب فقال بعض اصحابه يا ابا اسحق طله
القوم الراحة والنعيم فاخطاوا الصراط المستقيم ثم قال من اين لكم هؤلاء اهل الجنة ف
شانهم عجب سرورهم زايد وعيشهم طرب العيش عيشهم لكل ملكهم ما الناس الا
هم بانوا واقتربوا قيل لبعض العارفين وقد اعتزل الخلق اذا هجرت الملوك
من تعيش قال مع من هجرتهم لاجلهم ويروى عن المسيح عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين
كلم الناس قليلا وكلموا الله كثيرا قالوا كيف نكلم الله كثيرا قال اخلوا بذكره واخلوا
بذكره فناجاته ما اطيب عيش من خلا بحبيبه من اهل فضل مثلكم
كيف يخيب واعلم ان الجمع بين هذين العيشين في دار الدنيا غير ممكن فمن اشتاق
بعيش روحه وقلبه حصل له منه نصيب وافر ومن الهى عن عيش جسده ودنه

ولم يقدر ان يأخذ منه نهاية شهوته ولم يقدر ان يتوسع في نيل الشهوات انما يأخذ منها
بقدر ما يقوم به حاجته البدنه خاصة فينتقض بذلك عيش الجسد والابد وهذه
كانت طريقة الانبياء والمرسلين واتباعهم فكان الله يختار ان يقلل نصيبهم من عيش
اجسادهم ويوفر نصيبهم من عيش قلوبهم وارواحهم قال سهل التستري ما اتى الله
عبدا ان قربه ومعرفته نصيبا الاحرمه من الدنيا بقدر ما اعطاه من معرفته وقربه ولا
اتاه من الدنيا نصيبا الاحرمه من معرفته وقربه بقدر ما اتاه من الدنيا وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقتصد في عيشه غاية الاقتصاد مع ما فتح الله عليه من الدنيا والملك
وما شبع ولم يشبع من خبز الشعير وكان يقول مالي ولي الدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب
قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة والنساء والطيب فيهما قوة الروح بخلاف الطعام
واشرابه فان ما ملأ آدمي شرا من بطنه فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس وقال بعضهم اسعف قلة الطعام عونا على السير الى الخيرات وقال اضر ما قل طعام
امرأة قلبه ونديت عيناه وقال ابراهيم بن ادهم التبع يميت القلب ومنه الزرع
الضحك وقال ابو سليمان المعص اذا جاعت وعطشت صفى القلب ورق فاذا شبعت
ورويت عمي وقال مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخرة الجوع وقيل للامام احمد بن حنبل الرجل
رقة من قلبه وهو يشبع قال ما ارى وهذا المعنى شرع الصيام وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم يواصل في صيامه اياما فلا يأكل ولا يشرب واذا سئل عن ذلك يقول اني
لست مثلكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني بشير الله يستغني عنه
قوت جسده بما يمنحه الله من قوت روحه عوض الخلوة به والانس بذكره
ومناجاته وما يورده على قلبه من المعارف القدسية والمواهب الالهية
لها احاديث من ذكر تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
واعلم ان عيش الجسد يفسد عيش الروح وينقصه واما عيش الروح
فانه يصلح عيش الجسد وقد يغنيه عن كثير مما يحتاج اليه من عيشه كان
بالبصرة رجل من المجتهدين في الطاعة وكان قليل المطعم وبدنه غير

محفوظ

هذا قيل له سبب ذلك فقال ذلك من فرحي بحب الله اذا ذكرت انه ربي وانا عبده
لم يزل بيني ان يصلي وسئل ابو الحسن بن بشار هل يكون الولي سمينا قال نعم اذا
كان الولي امينا قيل له وكيف يبغض الحبر السمين قال اذا علم الحبر عبد من هو زاد سمنا
وكان بشر يخطو في داره ويقول كفى بي خزيا اني لك عبد وكفى بي فخرا انك لي رب
نصبت لكم عبادة وذلك بغيتي وتبشر في قبوري نسبتي لعلاكم فكل عذاب في هوان
يلذ لي وكل هوان طيب في هواكم لحا الله قلبي ان تغير عنكم وان مالي في الدنيا لحب سواكم
فمن وفى نفسه حظها من عيش جسده بالشهوات الحسية كالطعام والشراب ونحو
قبله وقسي وجلب له ذلك الغفلة وكثرة النوم فنقص حظ روحه وقلبه من طعام
المناجاة وشراب المعرفة فخسر خسرانا مبينا قال بعضهم مساكين اهل الدنيا خرجوا منها
وما ذاقوا الطيب شيء فيها قيل وما هو قال معرفة الله عز وجل فمن عاش في الدنيا ولا
يعرف ربه ولا يتنعم بخدمته فعيشه عيش البهائم نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم وتتعب فيما سوف تكره عنبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
فالصالحون كلهم قللوا من عيش الاجساد وتوفروا من عيش الارواح لكن منهم من
قلل من عيش بدنه ليستوفيه في الآخرة وهؤلاء تاجروا ومنهم من فعل ذلك خوفا من
الحساب عليه في الآخرة والمحققون فعلوا ذلك تقربا للمسمى ما يشغل عن الله لتفرغ القلوب
للعكوف على طاعته وخدمته وشكره والانس به والشوق الى لقائه فان الاخذ من عيش
الاجساد اكثر مما قدر الحاجة يلهي عن الله ويشغل عن خدمته قال بعضهم كلما
شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم فلما كان ما يلهي عن الله يضر ويؤذي انه لمشؤوم
فمن تفرغ احرز لطلب عيش الارواح واعطى نفسه حظها من ذلك الا ونقص حظه
من عيش الارواح وازدادت قلبه من غفلته عن الله واعراضه عنه وقد ذم الله من كان
كذلك فقال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية انما حصلوا
من شهواتهم ينقطع ويزول بالموت وينقص حظهم بذلك في الآخرة فان كان ما حصلوا
من شهواتهم من حرام فذلك هو الخسران المبين فانه يوجب العقوبة الشديدة في الآخرة
فلما لم يجتمع في الدنيا للعبد بلوغ حظه من عيش روحه وبلوغ نهايته من عيش

جسد جعل للمؤمنين وجمع لهم فيما بين هذين الحظين على نهاية ما يكون من الكمال
وهي الجنة فان فيها جميع لذات الاجساد ونعيمها كما قال تعالى وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين وقال لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولا ينقص حظهم من لذات
ارواحهم فانه يتواتر لذات قلوبهم وتتزايد على ما كان للمؤمنين في الدنيا مما لا نسبة لما
لما كان في الدنيا اليه فان الخير في الدنيا يصير هناك عيانا فاعلى نعيمهم هناك رؤية
الله عز وجل وسماعه تحيته وقربه ورضاه ويحصل لهم نهاية المعرفة والانس وتتزايد هناك
لذة ذكره على ما كانت في الدنيا فانهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وتصير كلمة التوحيد
لهم كالماء البارد لاهل الدنيا فعلم بهذا ان العيش الطيب على الحقيقة لا يحصل في الدنيا انما
يكون بعد الموت فان من توفر حظه من نعيم جسده في الدنيا نقص به الضعف حظه من نعيم
الآخرة ومع هذا فهو نعيم منقص لا يدوم ولا يبقى وكثيرا ما ينقص بالامراض والاسقام
وربما انقطع وتبدل صاحبه بالفقر والذل بعد الغنى والعز فان سلم من ذلك كله فانه
ينغصه الموت فاذا جاء الموت فما كان من تنعم في الدنيا ولذاتها كانه ما ذاق شيئا من لذاتها
خصوصا اذا انتقل العبد بعد الموت الى عذاب الآخرة كما قال تعالى افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يمتعون وكان الرشيد قد بنى قصرا وبنى وفرشه واستدعى فيه
بطعام وشراب وملاهي واستدعى ابا العتاهية فقال صف ما نحن فيه من العيش
فانشأ يقول عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور يسعى عليك بما اشتهيت
لدى الرواح وفي البكور فاذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكى الرشيد فقال له الوزير ادعاك
امير المؤمنين للنشاط فاحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا في عمى فاحب ان يزيدنا
عمى نظر بعض العارفين عند موته الى منزله فاستحسنه فقال ان عيشا يكون آخره
الموت لعيش معجل التنغيص ثم مات من يومه وقال آخر يا غني بالدنانير محب الله اغنى
وقال آخر انما الدنيا وان سرت قليل منغص انما العيش جوار الله في ظل ظليل
حيث لا تسمع ما يوذيك من قال وقيل وقال آخر وكيف يلذ العيش من كان عالما
بان الله الخلق لابد سائله فيا خزنه ظلم لعباده ويجزيه بالخير الذي فعله
فلا شقيا في النعيم بعيش ضنك قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة

ضنكا

ضنكا وقد روي عن ابي سعيد الخدري مرفوعا او موقوفا ان المعيشة الضنك عذاب القبر
يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويسلط عليه تسعة وتسعين تنينا فاما معيشتهم في
الاخرة فاضيق واضيق فما ساء طا عيشة بعد الموت فاذا طيب عيشه لا ينقطع
بل كلما جاء زاد طيبه ولهذا سئل بعضهم من انعم الناس عيشا فقال الاجسام في التراب
قد امنت العذاب فانتظرت الثواب فهذا في البرزخ فان المؤمن في البرزخ في عيشة
طيب روي معروف في المنام بعد موته وهو ينشد موت التقي حياة لا نفاد لها قد مات قوم
وهم في الناس احياء كما ه ابراهيم ينشد ما احد انعم من مؤمن في قبره اعماله تؤنسه مع
الجسم وفي روضة زينها الله في مجلسه روي بعض الصالحين في المنام بعد موته
فقال نحن في برزخ محمود تفترش فيه الريحان وتوسد فيه السندس والاستبرق الى يوم
النشور روي بعض الموتى سئل عن حال الفضيل بن عياض فقال كسبي جلة لا تقوم لها
الدنيا بحذافيرها فاما عيش المتقين في الجنة فلا يحتاج ان يسئل عن طيبه ولذته وكمال
في ذلك قوله تعالى فهو في عيشة راضية في جنة عالية الايات ومعنى راضية اي عيشة
يحصل بها الرضى وفسر ابن عباس قوله هنيئا بانه لا موت فيها يشير الى انه لم يتمنهم
العيش الا بطل الموت والخلود فيها قال يزيد الرقاشي اذا اهل الجنة الموت فطاب
لهم العيش واستوت الاقسام فمتى الهم في جوار الله طول المقام وقال تعالى ان المتقين
في جنات ونهر الى اخرها ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه وسروره وقصوره مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه واعلاهم من ينظر الى وجه الله بكرة وعشيا فلا بعد
السلف واه المؤمن له بابان من الجنة من داره الى دار السلام يدخل على ربه اذا شاء بلا اذن
قال ابو سليمان الداراني واذا اتاه رسول مناب العزة بالتحية واللطف فلا بد انه
حتى يقول للحاجب استاذن لي على ولي الله قال لست اصل اليه فذلك قوله واذا رايت
ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فلم ذكر العيش بين ضياءها ورونقها والتفرج فيها
وسره كم من حيرة ان تبسمت اضاء لها الجنان حين تبسم وسره وادعما الذي يهوى
يبسم المزيد لوفد الحب لو كنت منهم تذيقك الوادي بما هم صبابة يرى ان الصبابة مغنم
وسره افراح المحبين عند ما يخاطبهم مولاهم ويسلم وسره ابصار تراه جهرة
فلا الضيم يغشاها ولا هي تشام فيا نظرة اهديت الى القلب نظرة اتت بعدها
ينطوي الحب المتيم فروحك قرب ان اردت وصالهم فما غلبت نظرة تشترى بروحك منهم
واقوم والاشتغل بعيشك منغص فما فاز بالذات من ليس يقوم فصم يومك الادنى

لعلك في غمرة تفوز بعيد الفطر والناس صوم فيا بايعا هذا البخس معجل كأنك لا
تدري بلى سوف تعلم فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تعلم
تدري فالمصيبة أعظم قوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا واسئلك لذة النظر الى
وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة هذا يشمل اعلى
نعيم المؤمنين في الدنيا والآخرة واطيب عيش لهم في الدارين فما لذة النظر الى وجه
الله عز وجل فانه اعلا نعيم اهل الجنة واعظم لذة لهم كما في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى المنادي يا اهل الجنة ان
لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يدخلنا
الجنة الم يجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا
هو احب من النظر اليه وهو الزيادة ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وفي رواية لابن ماجه وغيره في هذا الحديث فوالله ما اعطاهم
شيئا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه واخرج الدارمي من حديث عمر مرفوعا
ان اهل الجنة اذا بلغ بهم النعيم كل مبلغ فظنوا انه لا نعيم افضل منه تجلى الرب
تبارك وتعالى عليهم فينظرون الى وجه الرحمن تبارك وتعالى فينسون كل نعيم ما هم فيه
حين نظروا الى وجه الرحمن واخرج الدارقطني بنقصان منه وزيادة وفيه فيقول
يا اهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني كما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني
في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى انا ربكم وانا ملككم
وانتم عبادي فيقولون داود فيمجد ربه عز وجل وفي سنن ابن ماجه مرفوعا بينما اهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فاذا الرب جل جلاله قد اشرف عليهم فقال السلام عليكم
يا اهل الجنة وهو قول الله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فلا يلتفتون الى شيء مما هم فيه
من النعيم ما داموا ينظرون اليه وخرج البيهقي منه حديث جابر مرفوعا ان اهل الجنة
يزورون ربهم عز وجل على نجائب من ياقوت احمر وازمتها من زمرد اخضر فيا عمل الله
بكثبان من مسك اذفر ابيض فتشير عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم الى جنة
عدن وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة ربنا جاء القوم فيقول مرحبا بالصادقين
مرحبا بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه ويتمتعون بنوره

حتى

حتى لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول ارجعوا إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد ابصر بعضهم
بعضا فذلك قوله تعالى لدنا غفور رحيم وفي مسند البزار من حديث حذيفة من فوقه في يوم
المزيد ان الله يكشف تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ولولا ان الله قضى للابصار
قوة الاحتمال قواما يغشاهم من نوره فبينما هم جميعا إلى منازلهم ترادا النور وامكث وتراد والمكث
حتى يرجعون إلى صورهم التي كانوا عليها وروى من حديث انس من فوقه ان الله يقول لاهل
الجنة اذا استزادهم وتجلى لهم سلام عليكم يا عبادي انظروا إلى فقد رضيت عنكم فيقولون
سبحانك فتتصور لهم الجنة وقصورها فينا جونه فيقول عجبوها وانهارها وما
جميع ما فيها سبحانك فاعتقوا الجنة وجميع ما فيها حين نظروا إلى الله عز وجل
وبروى من حديث علي مرفوعا ان الله عز وجل يتجلى لاهل الجنة من وجهه فكانهم لم ير نعمة
قبل ذلك وهو قوله تعالى وزيادة ولدينا مزيد وبروى من حديث ابي جعفر مرسلا ان اهل الجنة اذا زاروا
ربهم تبارك وتعالى وكشف لهم عن وجهه قالوا ربنا انت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال
والاكرام فيقول لهم مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وخافوني بالغيب
وكانوا مني على كل حال شفقين فقالوا وعزتك وعظمتك وجلالك ما قدرنا الحق قدرك
وما ادينا اليك حقك فاذن لنا في السجود لك فيقول لهم عز وجل اني قد وضعت عنكم مؤنة
العبادة وزحت لكم اعمالكم فطالما انصبتم لي الابدان واعنيتم لي الوجوه فالان افضيكم
الى روحي ورحمتي وكرامتي فسلوني ما شئتم فتمنون علي اعطكم امانيكم فاني لم اجزكم اليوم
بقدر اعمالكم ولكن بقدر رحمتي وكرامتي فمايز الوني في الاماني والعطايا والمواهب حتى ان
المقصر في امنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله الى افنائها فيقول لهم تبارك وتعالى
لقد قصرتم في امانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد اوجبت لكم ما سالتم وتمنيتم والمزيد
بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه امانيكم قال عبد الرحمن بن ابي ليلى اذا تجلى لهم ربهم لا يكون
ما اعطوا عند ذلك شيئا قال الحسن اذا تجلى لاهل الجنة نسوا كل نعيم الجنة وكان يقول لو
علم العابدون انهم لا يرون ربهم في الآخرة لماتوا وقال ابو اسامة هم الذين هم الذين
اذا تنوا طيب الحياة وذاقوا نعيمها بما وصلوا اليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوه
من حلاوة حبه في قلوبهم لا سيما اذا خطر على بالهم ذكر شافهته وكشف ستور الحجب عنه في
المقام الاقدس والسرور واطراهم جلاله واسمعهم لذة كلامه ورد عليهم جواب ما ناجوه
به ايام حياتهم اسلي ان اراك يوما من الدهر فاشكو لك الهوى والغليلا
وانا جيك من قرب وابدي لك هذا الجوى وهذا التخولا قال وهب لو خيرت بين

الرؤية والجنة لاختيرت الرؤية روى بشر في المنام فسئل عن حاله وحال الفوز فقال
تركت فلانا وفلانا بين يدي الله يأكلان ويشربان تنعما ان قيل انت قال علم قلة
رغبتي في الطعام فاباحني النظر اليه ياحبيب القلوب مالي سواكا الرحم اليوم
مذنبا قد اتاكا انت سؤلي ومنيتي وبغيتي طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس شوقي من الجنان نعيم غير اني اريدها لاراكا قال ذو النون ما طابت الدنيا الا
بذكره ولا طابت الآخرة الا بعفوه ولا طابت الجنة الا برؤيته ولولا ان الله احتجب عنهم
اهل الجنة لاستغاث اهل الجنة من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار كان
بعض الصالحين يقول البيت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة اليهم يقول كنت ترابا كان
علي بن الموفق يقول اللهم ان كنت تعلم اني احبك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت
تعلم اني احبك حبا لجنتك فاحرمنيها وان كنت تعلم انما احبتك حبا مني لك وشوقا
الى وجهك الكريم فاكشفه واصنع بي ما شئت سمع بعضهم قائلا يقول
كبرت همتك عبدك طمعت في ان تراكا او ما حسبت ان تزاحم راكا ثم شهق شهقة
فاذا لها غلب الشوق على قلوب المحبين استرحوا الى مثل هذه الكلمات وما
تخفي صدورهم اكبر تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر فان منعني الناس
المحبين ففي وجهك لي عذر ابصار المحبين قد غضضت من الدنيا والآخرة فلم تفتح
الا عند مشاهدة محبوبهم يوم المزيد الروح وقد حجمت على فؤادي بحبك
ان يعل به سواكا فلو اني استطعت فضضت طرفي فلم انظر به حتى اراكا اصل
لا ببعضي بكلي وان لم يبق حبك لي حراكا وفي الاحباب مخصوص بوجد
واخر يدعي شوقا اليكا واذا استكبت دعوى في خدودي تبين من بكى ممن تباكا
فاما من بكى فتقرب وجدا وينطق بالهوى من قد تشاكا كان سمنون المحب ينشد
وكان في فؤادي قائما قبل صحكم وكان يذكر الخلق للخلق ويمزح فلما دعى قلبي هواك اجابه
فلست اراه محنا فنائك يمزح رميت ببعدان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا
بغيرك افرح وان كان شيء بالبلاد باسرها ان غبت عن عيني لعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست ارى قلبي لغيرك يصلح واما الشوق
الى لقائه فهو اجل مقامات العارفين في الدنيا وقد روي عن ابي صلى الله عليه وسلم انه كان

يدعوا اللهم اجعل حبك احب الاشياء الي وخشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حا
جات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا اقررت اهل الدنيا من دنياهم فاقر عيني من عبادتك
وانما قال من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة لان الشوق الى لقاء الله يستلزم محبة
الموت والموت يقع تمنيه كثيرا من اهل الدنيا بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وان
كان منهيا عنه في الشرع ويقع من اهل الدين كتمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة
فسأل تمني الموت خالبا من هذه الحالين وان يكون ناشيا عن محض محبة الله والشوق
الى لقائه وقد حمل هذا المقام الكثير من السلف قال ابو الدرداء احب الموت اشتياقا
الى ربي قال ابو عتبة الخواص ما احب ان لقاء الله احب الي مني من الشهوة قالت رابعة
لقد طالت الايام والليالي بالشوق الى لقاء الله ومكث فتح بن شخرف ثلاثين سنة
لم يرفع رأسه الى السماء ثم رفع رأسه فقال طال شوقي اليك فعجل بالقدوم عليك وكان
بعضهم يقول في مناجاته قبيح بعبد ذليل مثلي يعلم عظيما مثلك اللهم لك تعلم الكو
لو خيرت بين ان تكون لي الدنيا منذ خلقت اتمتع فيها حلالا لا اسئل عنها يوم القيمة
وبين ان تخرج روحي الساعة لاخترت الثاني وقال بعض السلف اذا ذكرت القدوم على الله كنت
اشد استياقا الى الموت من الضمآن الشديد ضمأه في اليوم الحار الشديد حره
الى الشراب الشديد برده اشتاق اليك يا قريب نائ شوق الصادي الى الزلا
الماء قال الجنيد سمعت سريا يقول الشوق اجل مقامات العارف اذ تحقق العارف
بالشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشتاق اليه رؤي داود الطائي في المنام
على منبر وهو ينشد ما نال عبد من العارفين رتبة اعلى من رتبة الشوق فان الشوق محمود
لازال المحبون يصفون الرواحل في الدنيا حتى خرجته عن ابناء الهوى وصارت
طيء في حواصل طير الشوق فهي تسرح في رياض الانس وترد حياض القدس ثم تأوي
الى قناديل المعرفة المعلقة في المحل الاعلى حول العرش كما قال بعض العارفين
القلوب جوالة فقلب يدور حول العرش وقلب يطوف حول الحش كلما علت همة
العبد سمت من ارجاء الانس على اغصان قلوب الاحباب تمايلت شوقا
الى ذلك الجناب كما قال بعض السلف يمشي ابن على قدماه من الشوق وكان بعضهم

كانه محمور من غير شراب تر عني اليك الشوق حتى اميل من اليمين الى الشمال
ويا خفي لذكركم الرياح كما ينشط الاسير من العقال اهل الشوق على طبقتين
احدهما من اقلقه الشوق ففني اصطباره كما ابو عبيدة الجواص ينشد ويضرب
على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه كان داود الطائي يقول بالليل هجم
عطل على الهموم وخالف بيني وبين السهاد وشوقي الى النظر اليك اوبق مني اللذات
وخالف بيني وبين الشهوات فاناني سجنك ايها الكريم مطلوب احباي اما جفن
عيني فمقروح واما فؤادي فمهوم بالشوق مجروح يذكرني من النسيم عهودكم
فازداد شوقا كلما هبت الريح الراني اذا ما اظلم الليل اشرقت يقلبي من نار
الغرام مصابيح اصلي بذكراكم اذا كنت خاليا لان تذكار الاحبة تسبيح
الشوق الطبقة الثانية من اذا اقلقهم الشوق سكنهم الانس بالله فاطمأنت قلوبهم
بذكره والنسوع بقربه وهذه حال السعداء صلى الله عليه وسلم وخواص العارفين وسئل
واشتاقت الشبلي بماذا تستريح قلوب المحبين والمشتاقين فقال بسر ورهم بمن احبوه
واشتاقوا اليه اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا ما املم فاحييت فاحيا
بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت كما نعت بعض الصالحات تقول
اليس عجبا ان اكون حية بين اظهركم وقلبي من الاشتياق الربي مثل شعل
النار التي لا تطفى اموت اشتياقا ثم احيا بذكركم وبين التراقي والضلوع لهيب
فوا عجبا من موت الشوق صبابة ولكن بقاه في الحياة عجيب هذه احوال الايعرفها
الا من ذاقها لا يعرف الوجد الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها فاما
من ليس عنده منها خبر فما لام اهلها يا عاذل الشتاق دعه فانه لديه من
الزفرات غير حشاك لو كان قلبك قلبه لعلمته حاشاك مما عنده حاشاك قوله
صلى الله عليه وسلم اعوذ بك اللهم ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدي علي او اكسب خطيئة
محكمة او ذنبا لا تغفره استعاذ من اربعة اشياء احدها ان يظلم من الطريقة
وهو ان يظلم غيره او يظلم غيره وخرج ابو داود من حديث ام سلمة قالت ما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتي قط الا رفع الى السماء قال اللهم اني اعوذ بك ان
اضل

اضل او افضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي وخرجه الترمذي وصححه ولفظه اللهم انا
نعوذ بك ان نزل او نضل او نظلم او نظلم او نجهل او يجهل علينا فمن سلم من ظلم
غيره وسلم الناس من ظلمه فقد عفى وعوفي الناس منه وكان بعض السلف يدعو
اللهم سلمني وسلم مني والثاني العدوان وفرق بينهما الظلم والعدوان في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الاية
وقد يفرق بين الظلم والعدوان بان الظلم ما كان بغير حق بالكلية كاخذ مال بغير استحقاق
شيء منه وقتل النفس لا بحق قتلها واما العدوان فهو مجاوزة الحد ويتعدى بهما فيما
اصله مباح مثل ان يكون له عند احد حق من مال او دم او عرض فيستوفي اكثر منه فهذا
هو العدوان وهو تجاوز ما يجوز اخذه الى ما ليس له اخذه وهو من انواع الربا
الحرمة وقد ورد السببين بالسبب منه من مال او عرض او دم كلاهما في الحقيقة ظلم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وفي الصحيح
صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيمة وفيهما عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي
للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وتلى قوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
الاية وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله
منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان تؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه وفي صحيح مسلم عن صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون من المفلس قالوا المفلس من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من ياتي
يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الحديث لتؤدن
الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وفي حديث عبد الله
بن انيس ويستقبل الحجل لا يكلم الحجل لا يكلم الحجل لا يكلم ثم يقول انا الديان وانا الملك لا ينبغي لاحد
من اهل النار ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة حق حتى اقصه منه حتى اللطمة
قلنا كيف وانما نحن حفاة عراة قال بالحسنات والسيئات وفي حديث ابي هريرة
نحن القصاص غدا اذا وفيت ما كسبت اليوم بالقسطاس في موقف ما فيه الا شاخص
او مهطع او يقنع بالراس اعضاؤهم هي شهود وجهنم نار وحاكمهم شديد الباس

ان تمطل الحقوق اليوم مع الغنى فغدا تؤدى مع الافلاس والظلم المحرم يكون
تارة في النفوس واشده في الدماء وتارة في الاموال وتارة في الاعراض ولهذا قال في خطبته
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وفي رواية قال الا اسمعوا الا لا تظلموا الا لا
تظلموا انه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه
وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فظلم العباد شر مكتسب
لان الحق فيه لادمي مطبوع على الشح فلا يترك من حقه شيأ لا سيما مع شدة
حاجته يوم القيمة فان الامم تفزع يومئذ اذا كان لها حق على ولدها التاجنه
منه ومع هذا فالغالب ان الظالم تعجل له العقوبة في الدنيا وان امهل كما قال صلى الله
عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة الاية قال بعض التابعين لرجل يا مفلس فابتلي التوابل بالدين
والحبس بعد اربعين سنة وضرب رجل اباه وسحبه الى مكان فقال الذي رآه
هاهنا رأيت المضروب قد ضرب اباه وسحبه اليه وصاد بعض وزراء الخلفا
رجلا فاخذ منه ثلاثة الاف دينار فبعد مدة غضب الخليفة على الوزير وطلب
منه عشرة الاف دينار فجزع اهله من ذلك فقال ما ياخذ مني اكثر من ثلاثة الاف
دينار كما كنت ظلمت فلما ادى ثلاثة الاف دينار وقع الخليفة بالافراج عنه
فسبحان من هو قائم على كل نفس بما كسبت ان ربك لبالمرصاد حاكم العدل
لا يجور وانما يجازي بالعدل وميزان عدله لا يحابي احدا بل يتحرر فيه مثاقيل
الذر فجانب الظلم لا تسلك طريقته عواقب الظلم تخشى وهي تنتظر
وكل نفس ستجزى بالذي عملت وليس للخلق من دنياهم وزر الثالثة
مما استعاذ منه وهي الخطيئة المحيطة قال عز وجل بلى من كسب سيئة و
احاطت به خطيئته الاية وفسر احاطة الخطيئة بالموت على الشرك وفسر بالموت
على الذنوب الموجبة للنار من غير توبة منها وكان ذنوبه احاطت به فمات مع

جهالة فلم يبق له مخلص منها فالخطايا تحيط بصاحبها حتى تهلكه وقد ضرب النبي
صلى الله عليه وسلم مثل الخطايا يتلبس بها العبد بمثل درع ضيقة يلبسها فتضيق
عليه حتى تخنقه ولا تنفك عنه الا بعمل الحسنات من توبة او غيرها من الاعمال الصالحة
فقي المسند عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل الذي
يعمل السيئات مثل رجل كانت عليه درع ضيقة يلبسها فتضيق عليه ضيقة ثم عمل
حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة فانفكت حلقة اخرى حتى يخرج الى الارض
فلا يخلص العبد من ضيق الذنوب عليه واحاطتها به الا بالتوبة والعمل الصالح
لما كان بعض السلف يردد هذين البيتين بالليل ويبكي بكاء شديدا ابكى الذنب
طول الليل مجتهدا ان البكا معول الاحزان لا تنس ذنبك في النهار وطوله
ان الذنوب تحيط بالانسان الرابع مما استعاذ منه الذنب الذي لا يغفر يدخل
فيه شيئان احدهما الشرك قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية الثاني ان
يعمل العبد ذنبا ولا يوفق لسبب يمحوه عنه بل يلقى الله بغير سبب ما وله فلا
يغفر له بل يعاقب عليه فان الله اذا احب عبدا اوقعه في ذنب ووفقه لاسباب
يمحوه عنه اما بالتوبة النصوح واما بحسنات ماحية وفي سنن ابن ماجه عن ابن مسعود
مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الحسنات يذهبن السيئات واما ان
يبتلى بمصائب مكفرة فما يرد الله به خيرا يصب منه ولا تنزل البلايا بالمؤمن
حتى يمشي على الارض ولا عليه خطيئة واما ان يغفر بشفاعة باذنه الله له يا ذن
فيها واما ان يغفر بمجرد فضله ورحمته من غير سبب اخر فحينئذ يكون هذا الذنب
مغفورا قال بعضهم اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب ومراده انه يمحوه عنه وربما يجعل
يجعل الذنب في حقه سببا لخوفه من ربه وذله وانكساره فيكون سببا لرفع
درجة ذلك العبد عنده واذا خف لعبد وقضى عليه بذنب لم يوقفه لشيء من ذلك
فلقي الله بذنبه من غير سبب يمحوه عنه في الدنيا ثم يؤاخذه عليه في الآخرة ولا يغفر
فهذا هو الذنب المستعاذ منه ها هنا وحاصل الامر ان من عامله الله في ذنوبه
بالعدل هلك ومن عامله بالفضل نجى كما قال يحيى بن معاذ اذا وضع عدله على
عبد لم يبق له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم يبق له سيئة يا ويلنا من عدل

قف مابه اخوف من ان يعود الحاكم يارب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم

قوله صلى الله عليه وسلم اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام
فانى اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا واشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وانت على كل شئ قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك
واشهد انوعدك حق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة اتية لا ريب فيها وانك
تبعث من في القبور هذا الدعاء استفتح بقوله اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة ذا الجلال والاكرام وقال الله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
الشهادة انت تحكم بين عبادك الاية وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح
صلاة الليل بقوله اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي المسند والترمذي ان
النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ياذا الجلال والاكرام فقال لقد استجيب لك فسل
والمسئول في هذا الدعاء ان العبد يعهد الى ربه في هذه الحياة الدنيا ويشهده
كفى به شهيدا انه يشهد لبعض اصول الايمان التي من وفى بها فقد نجى وهي الشهادة
سم بالوحدانية واتباعها بالشهادة له بالملك والحمد والقدرة على كل شئ والشهادة
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة والشهادة له بان وعده حق ولقاءه
حق والجنة حق والنار حق والساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في
القبور وقد تضمنت هذه الشهادة اصول الايمان الخمسة فان من شهد لمحمد صلى
الله عليه وسلم بالرسالة فقد شهد بما امر محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة به وهو اصول
الايمان الخمسة كلها وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في استفتاحه صلاة الليل انت الحق ووعدك الحق وقولك
الحق ولقائك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق
وقد وردت احاديث بفضل من عهد الى ربه في الدنيا هذا العهد واستشهده
على نفسه بمثل هذه الشهادة ففي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من قال حين
يصبح او يمسي اللهم اني اصبحت اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك

اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك اعتق اسه ربعه من
النار ومن قالها مرتين اعتق اسه نصفه من النار ومن قالها ثلاثا اعتق اسه ثلاثة ارباعه
من النار ومن قالها اربعا اعتقه اسه من النار واخرج النسائي والترمذي بمعناه من حديث
سلمان وعايشه وفي المسند عن ابن مسعود رضي اسه عنه ان النبي صلى اسه عليه وسلم قال من قال
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا اني
اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلني الى
نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا
توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد الا قال اسه عز وجل للملايكة يوم القيمة ان
عبدي قد عهد الي عهدا فانا وفوه اياه فيدخله اسه الجنة قال القاسم بن عبد الرحمن ما ينبغي لاهلنا
جارية الا تقول هذا في خدرها قوله صلى اسه عليه وسلم واشهد انك ان تكلني الى نفسي تكلني
الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك هكذا في حديث ابن مسعود
المتقدم فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير فاني لا اثق الا برحمتك
والمقصد من ذلك سوال العبد لربه ان يتولاه برحمته وان لا يكله الى نفسه وفي كتاب
اليوم والليلة للنسائي عن انس ان النبي صلى اسه عليه وسلم قال لفاطمة يا بنتي ان تسمعي ما امرك به ان تقولي اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله
ولا تكلني الى نفسي طرفة عين وخرجه البزار وزاد فيه ولا الى احد من الناس وخرج ابو داود
والنسائي من حديث ابي بكرة عن النبي صلى اسه عليه وسلم قال دعوة المكروب اللهم رحمتك
ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت وقال قتادة في قوله
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الا بان قال النبي صلى اسه عليه وسلم
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وفي سنن ابي داود عن عبد اسه بن عوالة قال بعثنا رسول
اسه صلى اسه عليه وسلم لنغنم على اقدامنا فرجعنا ولم نغنم شيئا وقد عرف الجهد في وجوهنا
فقال اللهم لا تكلهم الي فاضعف عنهم ولا تكلهم الى انفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم الى الناس
فيستاثروا عليهم فاذا وفق اسه عبدا توكل بحفظه وكلايته وهدايته وارشاده
وتوفيقه وتسديده واذا خذله وكله الى نفسه او الى غيره ولهذا كانت هذه الكلمة

حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة عظيمة وهي التي قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القي في النار
وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقالتها عائشة
حين رميت بالافك لما انقطعت عن الجيش وهي كلمة المؤمنين فمن حقق التوكل على الله
لم يكله الى غيره وتولاه بنفسه وحقيقة التوكل تكلة الامور كلها الى من هي بيده فمن
توكل على الله في هدايته وحراسته وتوفيقه وتاييده ونصره ورزقه وغير ذلك من
مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها فانه تعالى هو ولي الذين امنوا وهذا هو حقيقة
الوثوق برحمة الله كما في هذا الدعاء اني لا اثق الا برحمتك فمن وثق برحمة ربه ولم يثق
بغير رحمته فقد حقق التوكل على ربه في توفيقه وتسديده فهو حسبه يتكفل الله بحفظه
ولا يكله الى نفسه وفي هذا الحديث وصف النفس باوصاف ذميمة كل ذلك حذرا ان يوكل
العبد الى شيء من هذه صفاته وهي اربعة اوصاف الضيعة والعورة والذنب والخطيئة
فالضيعة هي الضياع فمن وكل الى نفسه ضاع لان النفس ضيعة فانها لا تدعو الى الرشد
وانما تدعو الى الغي والعورة ما ينبغي ستره لقبحه ودناءته وكذلك النفس لقبح اوصافها
وسوء اخلاقها والذنب والخطيئة معناهما متقارب او متحد وقد يراد بهما
الصغائر وبالآخر الكبائر وقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس بانها امارة بالسوء فقال
تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فمن رحمه الله عصمه من السوء الذي تأمر به النفس
وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان يقول في كل صباح
ومساء عند نومه اعوذ بك من شر نفسي واشراك وان اقترف على نفسي سوءا
او اجره الى مسلم وفي نفسه الامارة بالسوء فيفعل كل ما تأمره به نفسه وفي المسند والترمذي مرفوعا
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وجل الناس الى قسمين كيس وعاجز فالكيس هو اللبيب الحازم العاقل
الذي ينظر في عواقب الامور فما يعقبه نفعه ويستعملها فيما يعلم انه ينفعها بعد موتها
وان كانت كارهة لذلك والعاجز هو الاحمق الجاهل الذي لا يفكر في العواقب بل يتبع
نفسه على ما تهواه وهي لا تهوى الا ما تظن ان فيه لذاتها وشهواتها في العاجل
وان عاد ذلك بضررها فيما بعد الموت وقد يعود ذلك عليها بالضرر في الدنيا قبل الآخرة
فهذا هو الغالب او اللازم فيبتعجل هو لنفسه العار والفضيحة في الدنيا وسقوط

المنزلة عند الله وعند خلقه والهوان والخزي ويحرم بذلك خير الدنيا والآخرة من علم نافع
ورزق واسع وغير ذلك ومن خالف نفسه ولم يتبعها هواها تعجل لذلك العز في الدنيا ويجد
بركة ذلك من حصول العلم والايمان والرزق وغير ذلك وقيل لبعضهم بما بلغ الاحنف
بن قيس فيكم ما بلغ قال كان اشد الناس سلطانا على نفسه فهذه النفوس تحتاج الى
محاربة ومجاهدة ومعاداتها اعدى عدو لابن آدم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
المجاهد من جاهد نفسه في الله وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك وقال الصديق لعمر رضي الله عنهما في وصيته له عند موته اول ما احذرك
نفسك التي بين جنبيك وفيه يقول بعضهم كيف احتراز ي من عدوي اذا كان عدوي
بين اضلاعي وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لما سأله عن الجهاد ابدأ بنفسك فجاهدها
وابدأ بنفسك فاغزها وبقال انه الجهاد الاكبر وروي مرفوعا منه وهو ضعيف فمن
ملك نفسه وقهرها عز بذلك لانه انتصر على اشد اعدائه وقهره واسره واكتفى شره
قال تعالى ومن يوق شح نفسه فالمكرم المفلح فحصر الفلاح في وقاية شح النفس وشحها
وهو تطلعها الى ما منعت منه وحرصها على ما عندها مما تشتهيه من علو وترفع
ومال وجاه ومسكن ومأكل ومشرب وملبس وغير ذلك فانها تطلع الى ذلك كله
وتشتهيه وهو عين هلاكها ومنه ينشئ البغي والحسد والحقد ونحو ذلك فمن وقي شح نفسه
فقد قهرها وقمعها عما ابيح لها واذن لها فيه وذلك عين الفلاح كان بعض العارفين
ينشد اذا ما عدلت النفس عن الحق زجرناها وان مالت عن الاخرى الى الرشد
منعناها تخادعنا وتخدعنا وبالصبر غلبناها لها خوف من الغدر وفي الحق
افرغ لغناها وبكل حال فلا يقوى العبد على نفسه الا بتوفيق الله اياه وتوليه له
فمن عصم الله وحفظه تولاه ووقاه شح نفسه وشرها وقوه على مجاهدتها ومعاداتها
ومن وكله الى نفسه غلبته وقهرته واسرته وجرته الى ما هو عين هلاكه وهو لا
يقدر على الامتناع كما يصنع العدو الكافر اذا ظفر بعدوه المسلم بل شر من ذلك فان
المسلم اذا قتله عدوه الكافر كان شهيدا واما النفس اذا تمكنت من صاحبها فقتلته
قتلته بهلك به في الدنيا والآخرة وهذا معنى الحديث الذي روي مرفوعا ليس عدوك الذي
اذا قتلته كان لك نورا يوم القيمة وان قتلك دخلت الجنة اعدى عدوك نفسك التي بين

جنبيك ولهذا كان من اهم مسائل الصبر ربه ان لا يكله الى نفسه طرفة عين يارب حي
لنا امرنا رشدا واجعل معونتك الحسنى لنا عودا ولا تكلنا الى تدبير انفسنا
فالعبد يعجز عن اصلاح ما فسد وقوله صلى الله عليه وسلم فاغفر لي ذنوبي انه لا
يغفر الذنوب الا انت وتب علي انك انت التواب الرحيم ختم الدعا بسؤال المغفر
الذنوب والتوبة قال بعض السلف الدنيا اما عصمة الله او الهلكة والاخرة اما
عفو الله او النار فمن عمل له في الدنيا التوبة وفي الاخرة المغفرة فقد ظفر بسعا
دة الدنيا والاخرة وقد تكرر في الكتاب والسنة ذكر الامر بالتوبة والاستغفا
قال الله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الاية وقال تعالى وان استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه واخبر عن هود عليه السلام وصالح وشعيب عليهم السلام انهم امروا امتهم
بالاستغفار والتوبة وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله الاية وترك الاصرار هو
التوبة وفي صحيح مسلم عن الاغر المزني انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس
توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة خرجه النسائي ولفظه
يا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب الى الله واستغفره كل يوم
اكثر من سبعين مرة وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وخرجه
النسائي وابن ماجه ولفظهما اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة و
في المسند عن حذيفة قال كان في لساني ذرب على اهلي ما اعدوه الى غيرهم فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اين انت من الاستغفار يا حذيفة اني لاستغفر الله
كل يوم مائة مرة واتوب اليه وفيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني
لاستغفر الله كل يوم مائة مرة واتوب اليه وفي السنن الاربعة عن ابن عمر انا
كنا نعد للنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة يقول رب اغفر لي و
تب علي انك انت التواب الرحيم الغفور وانما قدم ذكر الشهادة بالتوحيد على طلب
المغفرة لان التوحيد اعظم الاسباب التي تستجلب بها المغفرة وعدة مانع من

المغفرة

المغفرة بالكلية وفي الحديث يا بن آدم إن جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة وفي حديث سيد الاستغفار البداية بذكر التوحيد قبل طلب المغفرة وإذا اعترف العبد بذنبه وطلب المغفرة من ربه وأقر له بأنه لا يغفر الذنوب غيره كان جديرا أن يغفرها ولهذا قال في هذا الحديث فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وكذلك في دعاء سيد الاستغفار وكذلك في الدعاء الذي علمه الصديق أن يقوله في صلاته والى هذا الإشارة في القرآن كقوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله وفي حديث أبي ذر المرفوع يقول الله عز وجل من علم أني ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا أبالي وفي حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري وفي الصحيح حديث الذي أذنب ذنبا فقال رب عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي ثم قال في الرابعة فليعمل ما شاء يعني ما دام في هذه الحال كلما أذنب استغفر وفي السنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة التوبة والاستغفار تقبل آناء الليل والنهار وفي صحيح مسلم مرفوعا أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ولكن بعض الأوقات أرجى قبل فإذا وقعت التوبة والاستغفار في مظان الإجابة كان أقرب إلى حصول المطلوب ولهذا مدح الله المستغفرين بالأسحار فقال والمستغفرين بالأسحار وفي الصحيح حديث النزول أن الله يقول كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه قال الفضيل بن عياض ما من ليلة أحتفظ ظلامها وأرعى النجوم سترها الأناديت الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني وأتولى حفظهم كأنهم لم يزالوا فيما بيني وبينهم أجود بالفضل على العاصي وأتفضل على المسيء هذا الذي دعاني فلم ألبه أم هذا الذي سألني فلم أعطه أم هذا الذي أناخ ببابي فمن هيبتي أنا الفضل ومني الفضل أنا الجواد ومني الجود أنا الكريم ومني الكرم ومن كرمي أني أغفر للعاصي بعد المعاصي ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألني وما لم يسألني ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني فأيه مني بحسن الخلائق وأين عن

باب يتخلى العاصون ما للعصاة تهرب منه الا اليه هربت منه اليه بكيت منه عليه
وحقه هو سولي لازلت بين يديه حتى انال واحظى بما ارضى لديه اساءت والاحسن
وجيتك تائبا واني لعبدك من مواليه بهرب يؤمل غفرانا خاب ظنه فما احد
على الارض اخيب هو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وافرح بتوبة عبد منه
فقل راحلته بارض مهلكة حتى يئس من الحياة ثم وجدها يا مطرود احذران تفارق
عتبة بابهم يا مرميا بالبعاد اياك ان تبعد عن جنابهم يا مهجورا ابك وتراءم عليهم
بامتوعد بالعقاب لاتهرب منهم الا اليهم في حديث جابر المرفوع ان العبد ليذنب
الذنب وهو عليه غضبان فيعرض عنه فلا يزال يدعوه حتى يقول الله عز وجل للملائكة
ان عبدي قد ابى ان يدعو غيري فقد استجبت له كان رجل من اصحاب ذي النون يطوف
في الليل يبكي وينادي اين قلبي اين قلبي قد وجد قلبي فدخل يوما بعض السكك فوجد
صبيا يبكي وامه تضربه ثم اخرجته من الدار واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يلتفت
يمينا وشمالا ولا يدري اين يذهب والى اين يقصد فرجع الى باب الدار فوضع راسه
على عتبته فنام فلما استيقظ جعل يبكي ويقول يا اماه قد يفتح لي الباب اذا اغلقت عني
بابك وقد يدنيني قد نفسه اذا طردتني وقد ذا الذي يدنيني بعد ان غضبتي علي
فرحمته امه فقامت ونظرت من خلل الباب فوجدته ولوها تجري الدموع على خديه
متمعكا في التراب ففتحت الباب واخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله
وتقول يا قرة عيني وعزيز نفسي انت الذي حملتني على تفكك وانت الذي تعرضت
لما حل بك لو كنت اطعتني لم تلق مني مكروها فتوجه الرجل ثم قام وصاح وقال
قد وجدت قلبي قد وجد قلبي هكذا ينبغي ان تكون حال العبد مع ربه اذا هجر واخذ
وصلنا ثم زاد وان بعد وايأس قربنا تعللا وان علقوا بالهجر ابوابه وصلهم
وقالوا ابعد واعنا طلبنا التوصلا وقفنا على ابوابهم نطلب الرضى
على الترب عفرنا الخدود تذللا اشرنا بتسليم وان بعد المدى
اليهم وكلفنا الرياح التحملا اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا
مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

باب يتخفى العاصي وما للعصاة تهرب منه الا اليه هو بت منه اليه بكيت منه عليه
وحقه هو سولي لا زلت بين يديه حتى انال واحظى بما ارجو لديه اسأت والاحسن
وحبيبك تائبا وان لعبدك مواليه بهرب يؤمل غفرانا خاب ظنه فما احد
على الارض احبب هو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وافرح بتوبة عبده ممن
فقد راحلته بارض مهلكة حتى يئس من الحياة ثم وجدها يا ملطوا حذار ان تفارق
عتبة بابهم يا مرميا بالبعد اياك ان تبعد عن جنابهم يا مهجورا ابكي وتراءم عليهم
يا متوعدا بالعقاب لا تهرب منهم الا اليهم في حديث جابر المرفوع ان العبد ليقع
الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه فلا يزال يدعوه حتى يقول الله عز وجل للملائكة
ان عبدي قد ابى ان يدعو الا غير فقد استجبت له كان رجل من اصحاب ذي النون يطوف
في الليل يبكي وينادي اين قلبي اين قلبي فوجد قلبي فوضع يده بعض الليل فوجد
صبيا يبكي وامه نضر به ثم اخرجته من الدار واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يلتفت
يمينا وشمالا ولا يدري اين يذهب والا اين يقصد فرجع الى باب الدار فوضع رأسه
على عتبة فنام فلما استيقظ جعل يبكي ويقول يا امامه متى يفتح لي الباب اذا اغلقت عني
بابك ومن يدنيني منه نفسه اذا طردتني ومن ذا الذي يدنيني بعد ان غضبتي علي
فرحمته امه فقامت ونظرت من خلل الباب فوجدته ولوها تجري الدموع على خديه
متمعكا في التراب ففتحت الباب واخذته حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله
وتقول يا قرة عيني وعزيز نفسي انت الذي حملتني على نفسك وانت الذي تعرضت
لما حل بك لو كنت اطعتني لم تلق مني مكروها فتولجوا الرجل ثم قام وصاح وقال
قد وجدت قلبي قد وجدت قلبي هكذا ينبغي ان تكون حال العبد مع ربه اذا هجر واذا
وصلنا تذللا وان بعد وايأسا قربنا تعللا وان غلقوا بالهجر الباب وصلهم
وقالوا ابعد وا عنا طلبنا التوصلا وقفنا على ابوابهم نطلب الرضى
على الترب عفرنا الخدود تذللا اشرنا بتسليم وان بعد المدى
اليهم وكلفنا الرياح التحملا اخره والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا
مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد وآله وصحبه